خطوات في الطريق إلى الله

أحدثكم عن فضـيلة من أهم الفضـائل في حياة الإنســان... إنها فضـيلة الرجاء.

الرجاء[1]

الرجاء هو إحدى الفضـــائل الثلاث الكبرى (الإيمان والرجاء والمحبة)، حسبما ذكر القديس بولس الرسول (1كو13).

مَن فقد هذا الرجاء يوقعه الشــيطان في الكآبة والقلق، بل يوقعه أيضًــا في اليأس مثلما حدث مع يهوذا الإســـخريوطي، الذي قطع رجاءه في الخلاص، فشنق نفسه...

إن العمل على قطع الرجاء هو من حروب الشياطين...

وقد شـــرحه داود النبي في المزمور الثالث قائلًا: "يَا رَبُّ لمَاذَا كَثُرَ الَّذِينَ يُحْزِنُونَنِي. كَثِيرُونَ قَامُوا عَلَيَّ. كَثِيرُونَ يَقُولُونَ لِنَفْسِـــي: لَيْسَ لَهُ خَلاَصٌ بِإِلَهِهِ"، **ويســـتطرد داود في روح الرجاء**: "فَأَنْتَ يَا رَبُّ هُوَ نَاصِـــري، مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي" (مز3: 1-3).

إن الشـيطان يقول للإنسـان الخاطئ: "لا خلاص، لا فائدة من كل جهادك. لقد تخلى الرب عنك. لا معونة لك منه. قد وقعت في يدي وانتهى أمرك". يقول هذا لكيما يستسلم الإنسان له في يأس، فيقوده إلى الهلاك.

أما السيد المسيح فهو ينبوع الرجاء، بل هو رجاؤنا...

إننا نقول له في صـــلواتنا: "يا رجاء مَن ليس له رجاء ومعين مَن ليس له معين. عزاء صغيري القلوب. ميناء الذين في العاصف". إن الذين تتعبهم

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث – بمجلة الكرازة – السنة التاسعة – العدد الثلاثون 28-7-1978م

العواصـــف في بحر هـذا العـالم. ميناؤهم الـذي يهبهم الرجـاء، هو الرب يسوع...

لهذا قيل عنه أيضًـــا إنه أتى "لأُنَادِيَ لِلْمَسْـــبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُـــورِينَ بِالإِطْلاَقِ" (إش61: 1). جاء يمنح رجاء لكل أحد.

بل أن من أروع ما قيل عن نعمة الرجاء في عمل الرب أن ابن الإنسان جاء "يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ" (لو19: 10).

لم يأت فقط ليخلص الخطاة والضـــالين فقط، أو ليخلص العشـــارين والســـامريين والأمم، وإنما جاء يطلب ويخلص "**مَا قَدْ هَلَكَ**"! أهناك رجاء أعمق من هذا؟ حتى للهالكين!

بل قيل عنه أيضًا في عمل الرجاء إنه: "قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ" (إش42: 3).

جميل أن نشـــعر أنه يوجد رجاء حتى للقصـــبة المرضـــوضـــة والفتيلة المدخنة... إنها رقة المسيحية التي تعزي صغيري القلوب... تشدد الركب المخلعة، والأيدي المسترخية.

أتراك ركبة مخلعة، لا تســـتطيع أن تســـير في طريق الرَّب؟! لا تفقد رجاءك. الرب قادر أن يشددك...

إنه يفتح الباب أمام الكل، ويدعوك إليه مهما كانت حالتك رديئة.. حتى إن كانت خطاياك كالقرمز، يغســـلك، لا لكي تبيض فقط، وإنما لتبيض أكثر من الثلج...!

إنه يوجد رجاء، مهما طال الوقت وبدا الأمل مفقودًا.

حتى إن شـــاخ **إبراهيم**، ومرت عشـــرات الســـنوات دون أن يعطى نســـلًا، وحتى إن جفَ مستودع سارة... هناك رجاءٌ أن يكون لكليهما تنعم. ما دام الله يريد، وما دام يقدر، إذًا فهناك رجاء. إنه الله الذي لا يعســـر عليه أمر. يقدم لنا عبارة رجاء هي:

"غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ" (لو18: 27).

حتى إن أُلقيت في جب الأســـود مثل **دانيال**، وحتى إن أُلقيت في أتون النار مثل **الثلاثة فتية،** فلا تفقد الرجاء: الله قادر أن يبطل قوة النار، وقادر أن يرسل ملاكه فيسد أفواه الأسود.

المهم أن تكون لك العين الروحية المبصـرة، التي تسـتطيع - في كل ضيقة وتجربة - أن تبصر يد الله ومعونته...

لقد خاف **جيحزي** لما رأى قوات العدو محيطة بالمدينة، ذلك لأنه لم يكن يبصر ملائكة الله الذين أرسلهم للإنقاذ. لهذا صلى **أليشع النبي** من أجله وقال: افتح يا رب عيني الغلام، ليرى أن الذين معنا أكثر من الذين علينا. "لا تَخَفْ، لأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ وَصَـــلَّى أَلِيشَـــعُ وَقَالَ: يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ" (2مل6: 16، 17).

ونفس الوضع حدث لشعب **بني إسرائيل** أمام البحر الأحمر، إذ رأوا البحر أمـامهم والعـدو خلفهم، فخـافوا. أمـا موســى النبي المملوء بـالرجـاء وبالإيمان، فإنه قال: "قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ. الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ" (خر14:13،14).

إن الرجاء يرى طريقًا قد شـــقّه الرَّب في البحر، ويرى الصـــخرة تُفجّر ماءً، ويرى خلاص الرَّب وسط الضيقات.

حتى إن تأخر الرَّب إلى الهزيع الرابع من الليل، لا يفقد المؤمن رجاءه، ولا ييأس. إنه قد يتأخر، ولكنه لا بد سيأتي وينتهر الأمواج والرياح...

ولقد منحنا الرب في الكتاب أمثلة كثيرة من الرجاء

لقد كان شفاء الأمراض المستعصية، رمزًا يدل على الرجاء.

بالنسـبة إلى الشـخص العادي، قد يفقد الرجاء أمام مرض خطير كالبرص، أو عاهة غير قابلة للشـــفاء كالعمى. أو أمام يد يابســـة لا تتحرك أو مرض طالت مدته كمرض نازفة الدم التي أنفقت كل مالها على الأطباء 18 سـنة دون أية فائدة.

أما المؤمن فله رجاء، مهما كانت الحالة تدعو إلى اليأس. إن الله

الذي طهر الأبرص، وفتح عيني الأعمى، وحرك اليد اليابســـة، وأوقف دم النازفة، قادر أن ينجي أي إنســـان من خطيئته، مهما بدا خلاصـــه صعبًا...

وفي إقامة الموتى، ترى لونًا من الرجاء أكثر عمقًا...

ولقد قدم لنا الرب أمثلة من إقامة الموتى تختلف في الدرجة. فقد أقام ابنة يايرس، وهي ما زالت في بيتها، وأقام ابن أرملة نايين، بعد أن وضعوه في الصـندوق وخرجوا به إلى الطريق وسـط المشـيّعين. وأقام لعازر بعد أن وضــعوه في القبر، ومضــت عليه 4 أيام حتى قالت أخته أنه: "قَدْ أَنْتَنَ.." (يو11: 39)، وفقدت رجاءها في إقامته!

أتراك في موت الخطية، يبكي عليك أصـحابك، أو يشـيعك الناس في حزن؟ أو تراك قد أنتنت في موت الخطية ومضت عليك مدة تدعو إلى اليأس، ثق. هناك رجاء في أن تقوم...

إن الله الذي أقام لعازر، يســتطيع أن يقيمك. لا تفقد الأمل أبدًا، فإن الله "يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (1تي2: 4). وهو يملك القوة على تخليصك...

إذًا فليتشدد قلبك وانتظر الرب...

الرب الذي قال في المزمور: "مِنْ أَجْل شَـقَاءِ المسَـاكِين وتَنهُّدِ البَائِسـينَ الآنَ أَقُومُ، يقُولُ الرَّبُّ، أَصْــنَعُ الَخَلاصَ عَلَانِيةً" (مز12: 5). **نعم، قم يا رب.** قم وليتبدد جميع أعدائك، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضـي اسـمك القدوس (عد10: 35). أما شــعبك الذي ينتظرك في رجاء، فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات يصنعون مشيئتك.

عبارة أخرى من عبارات الرجاء، يقدمها لنا ســفر إشــعياء: "وَأَمَّا مُنْتَظِرُو الرَّبِّ فَيُجَـدِّدُونَ قُوَّةً. يَرْفَعُونَ أَجْنِحَـةً كَـالنُّسُــورِ. يَرْكُضُــونَ وَلاَ يَتْعَبُونَ. يَمْشُونَ وَلاَ يُعْيُونَ" (إش40: 31).

وحتى إن أدركهم الإعياء، يدركهم قول الرب: "يُعْطِي الْمُعْيِيَ قُدْرَةً، وَلِعَدِيمِ

الْقُوَّةِ يُكَثِّرُ شِدَّةً" (إش40: 29).

مثال آخر للرجاء، هو أنشودة العاقر التي لم تلد...

يقول لها الرب في سفر إشعياء: "تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ. أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ، وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ. لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً" (إش54:1-3).

مثال آخر، هو الأرض الخربة في أول سفر التكوين.

كانت الأرض خربة وخالية، ومغمورة بالمياه، وعلى وجه الغمر ظلمة. ولكنها لم تبق كذلك، لأن روح الله كان يرف على وجه المياه. وإذا بالله يبدد ظلمتها، ويقول فليكن نور. فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن. ثم زين الله هذه الأرض بالأزهار والأشجار والأطيار (تك1).

الصورة الجميلة التي انتقلت إليها الأرض بعد الخراب، إنما تعطينا رجاء مهما غمرتنا المياه والظلمة...

إن الله يعمل، حتى ولو لم نعمل نحن. لقد قيل عنه إنه كان يجول، يصنع خيرًا (أع10: 38). فما معنى هذا؟

كان يجول، يعطي هذا نعمة، ويعطي هذا قوة، وذاك مغفرة، وذاك توبة. "يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ" (لو19: 10).

إذًا فلنفرح بالرب، لأنه قيل: "فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ" (رو12:12).

إنَّ الرجاءَ طاقةٌ من نور تفتح على النفس التي اكتنفتها الظلمة، فتنيرها وتبهجها. الرجاء هو طاقة من فرح، تفتقد النفس التي اكتنفتها الكآبة، فتزيل كآبتها... الرجاء عمل من أعمال الروح القدس، يلد الفرح والسلام... عش في هذا الفرح، مهما ظننت أن النعمة قد تأخرت عليك.

ولعل من أجمل الأمثلة قصة إيليا النبي وسقوط المطر...

حان وقت نزول المطر، وصلَّى إيليا ولم ينزل المطر، وصلَّى مرة ثانية ومرات ثالثة ورابعة وخامسة وسادسة، ولم ينزل المطر، على الرغم من

وعود الله، وعلى الرغم من أن الذي يصـــلي نبي عظيم. ولكن إيليا لم يفقد رجاءه، فصـــلى للمرة الســـابعة. وهنا رأى غيمة في حجم كفة اليد، ففرح وعرف أن المطر سينزل.

إنَّ غيمة صغيرة، في الصلاة السابعة، تبعث الفرح والرجاء.

لا تيأس إذًا إن تأخرت المعونة في الوصـــول إليك، بل ثق بالرب "وانتظره، من محرس الصـــبح إلى الليل" (مز130)، طول الوقت وطول العمر. وفي رجائك بالرب امتلأ فرحًا.

مما يبعث على الرجاء أيضًا، أن الله يبحث عنا...

إنه مهتم بخلاصـنا، أكثر من اهتمامنا بخلاص أنفسـنا. هو الذي يقف على الباب ويقرع، منتظرًا أن نفتح له...

وهو أيضًـا يرضـى بالقليل، كخطوة إليه. حبة واحدة في العنقود تجعل فيه بركة والرَّب يقبل أصـــحاب الثلاثين كزرع جيد. كأصـــحاب الســـتين والمائة. قلبه الطيب يملؤنا رجاء.